بيزا. وقد ادخل الرومان واليونانيون بعض مخططات مدنهم الى فلسطين. ففي المدن الفلسطينية التي بناها الرومان، أو أعادوا بناءها، كانت الشوارع ضيقة مرصوفة بالحجر، وفيها ميادين سباق الخيل[٢٦]. أمّا اليونانيون، فقد تركز اهتمامهم على الوظيفة التجارية، فبنوا المدن لتكون مراكز تجارية، للاستفادة من مناطق الانتاج الزراعي للمدينة وظهيرها[٢٧].

لقد كانت دواعي الأمن والحماية هي التي دفعت الشعوب التي تعاقبت على حكم فلسطين الى اقامة مدن خاصة بهم. ومنذ ذلك الحين ودواعي الأمن والحماية تلعب الدور الأكبر في نمو، أو تقهقر، المدن الفلسطينية. فالمدن الحدودية، مثلاً، شهدت تقهقراً منذ العام ١٩٤٨ وحتى العام ١٩٦٧. ولكن بعد العام ١٩٦٧، بعدما احتلت اسرائيل الضفة الفلسطينية، أزيل بعض القرى، ونمت مدن اخرى، كالقدس، وانكمشت مدن مثل قلقيلية. وقد حافظ بعض المدن الفلسطينية على تركته من التراث والتاريخ والحضارات التي عاشت في فلسطين، والتي أدّت الى زيادة ليس فقط في حجم المدن أو عددها، أو تغيير في الأسس التي تنمو عليها، بل تعدّاها ذلك الى تعدد في استخدامات الأرض فيها، وذلك تلبية للاحتياجات المتعددة والمتزايدة للسكان، على اختلاف أعمارهم وأجناسهم. ولكل استخدام من استخدامات الأرض داخل المدن دورة حياة، تبدأ نواة صغيرة ثمّ لا تلبث، انْ توفّرت الظروف الطبيعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ان تتسع وتمتد بلا نظام، حتى يلتفت القائمون على المدينة الى حالة النمو تلك، فيصار إمّا الى تنظيمها وتحديد خطوط نموّها وانتشارها زمانياً ومكانياً بدافع التغيير، وإمّا الى تبديل استعمالها.

ففي المدن الفلسطينية القديمة، لم يكن هناك مناطق مخصصة للصناعة. ولكن عند انتشار الصناعة في الوقت الحاضر، خصّصت مناطق اطلق عليها المناطق الصناعية، بينما تمثّل أقدم الاستخدامات للأرض في المدن في السكن والتجارة والمؤسسات العامة. وتختلف المدن فيما بينها. فعندما تنشأ المدن، فالذي يقرر الشكل الذي ستنمو عليه المدينة، والنسبة التي ستخصص لكل استخدام للأرض فيها، هي مجموع العوامل الاجتماعية والاقتصادية السائدة[٢٨]. اضافة الى ذلك، فان لحضارة الشعوب تأثيراً في استخدامات الأرض المختلفة، وعلاقتها بالانسان المديني. ان التغييرات في هذه العوامل تحدث تغييرات في استخدامات الأرض داخل المدينة، وتحدّد، كذلك، طبيعة واتجاه العلاقة بين الاستخدامات المختلفة.

لقد تشابهت نشأة المدن الفلسطينية الى حدّ بعيد، واشتركت في تاريخ متشابه منذ فجر التاريخ. ان الظروف الجغرافية التي أُقيمت فيها المدن كانت متشابهة. أمّا ظروف الموضع، فهي تختلف من مدينة الى أخرى. فمدينة نابلس تقع بين جبلين، ومدينة أريحا في وادي الأردن، ويافا على تلة على شاطىء المتوسط، والقدس على سرج جبلين، وهكذا. وكان لتشابه النشاط الاقتصادي وعدم كفاءة المواصلات قديماً دور في تحجيم نمو المدن الفلسطينية، وفي تحديد مسار نموّها. وقد تركز السكان في مركز المدينة، الذي تحوّل، في معظم المدن، ليكون الجامع، منذ ان أصبحت فلسطين ضمن الخلافة الاسلامية، حيث أُقيمت المتاجر والمساكن للأغنياء. وتركزت، كذلك، الخدمات والمؤسسات العامة في هذه المنطقة وتوطّنت فيها. أمّا المساكن، فأخذت تنتقل من مركز المدينة الى أطرافها، مستفيدة من التطوّر في استخدامات وسائل المواصلات.

مع بداية حكم الاتراك لفلسطين، شهدت الاوضاع العمرانية في فلسطين تراجعاً وانحساراً. ويرجع السبب الى ضعف سلطة الدولة، وعدم قدرتها على ردّ هجمات البدو على المناطق المأهولة